المحاضرة الثامنة (استراتيجيات البحث الاجتماعي التطبيقي)

تمهيد :

تمثل البحوث الوصفية حلقة أخري من حلقات البحث الاجتماعي ، وتتميز عن الحلقات السابقة عليها والتالية في سلسلة البحث الاجتماعي نتيجة لعدة اعتبارات يتعلق بعضها بالأهداف التي تسعي إليها هذه البحوث الوصفية ، ويتعلق البعض الثاني بالخصائص التي تمتاز بها ، ويتعلق بعضها الرابع من هذه الاعتبارات بالأهمية النظرية أو التطبيقية التي تعلق على هذا النوع من البحوث .

ولقد فرضت هذه الاعتبارات المتعلقة بالبحث الوصفي ، ضرورة اعتماده على إجراءات منهجية متمايزة وذلك في تصور التصميم المنهجي المناسب له وتسهم في تحقيق مبدأ الاقتصاد في الجهد والوقت والإمكانيات ، وفى تجنب التحيز الذى يزداد معه احتمال تأثر نتائج البحوث الوصفية وتعرضها للتحريف بالمقارنة بغيرها ممن نتائج البحوث الأخرى وزيادة فعاليتها على تجنب مثل هذه الثغرات .

ومن هنا ، خصصت المحاضرة الحالية لتناول استراتيجية البحث الوصفي وإلقاء الضوء على طبيعته ، واختلافه عن أنواع البحوث الاجتماعية الأخرى ، وتوضيح أهدافه ، والإجراءات المنهجية اللازم اتباعها عند التفكير في تصور تصميم منهجي مناسب لمثل هذا النوع من البحث .

أولاً: معالم البحث الوصفي وخصائصه :

كثيراً ما تستخدم كلمة الوصف لتدل على نفس المعني الذى تنطوي عليه كلمة المسح ، تلك التي اشتقت من الكلمة اللاتينية Super والتي تعني فوق أو فيما وراء ، والثاني Vey الذى اشتق من الكلمة اللاتينية Videre وتدل على النظر أو الفهم ، بحيث أصبح معنى كلمة المسح ، والنظر فيما وراء . ويحاول البحث من خلال المسح تناول الظواهر بطريقة تمكنه من تمييز الجوانب العلية أو ذات المعني من المعطيات أو البيانات المتوافرة حول هذه الظواهر . ومن هنا يطلق على البحث الذى يهتم بدراسة الظواهر الراهنة بدقة ، وبنفس دقة ما يراه الباحث ، اسم المسح ، أو المسح الوصفي Descriptive Survey .

ولعل في هذا الالتقاء في المعني بين البحث الوصفي والمسح ما يفسر لنا ارتباط البحوث الوصفية واعتمادها على المسح كطريقة في التوصل إلى البيانات الدقيقة حول جمهور السكان الذين يدور حولهم البحث ، وفى التسجيل الواعي لهذه البيانات ، حتى يمكن الرجوع إليها في الكشف عما تنطوي عليه من معان ودلالات .

غير أن نظر البحث الوصفي فيما وراء البيانات بحثاً عن مغزى ودلالة لا يعنى الاستعانة بالعين المجردة ، إنما يقصد به الاستفادة من الأدوات المتباينة التي يمكن بها النظر فيما وراء ، ونعنى الاستفادة من أدوات مثل الاستبيان والمقابلة الشخصية .. و غيرها ، والتي عادة ما يصاحبها تسجيل البيانات وعرضها في صورة جداول أو رسومات أو خرائط ... تعين في كشف ما تنطوي عليه البيانات من معانٍ .

ويفيدنا التحديد السابق للبحث الوصفي وارتباطه بالمسح من ناحية في تصور معالم البناء الأساسي لهذا النوع من البحث ، توضيح خصائصه ، إذ يعالج البحث الوصفي موقفاً يتطلب أسلوباً للملاحظة أو وسيلة أساسية لجمع البيانات ، ويحتاج في نفس الوقت إلى انتقاء جمهوره بعناية ، ورسم حدوده بوضوح يمكنه من جمع البيانات . ويستلزم الأمر بعد ذلك تنظيم هذه البيانات وعرضها بطريقة مرتبة ومنسقة حتى يمكن استخلاص نتائج ثابتة ودقيقة وصادقة .

ولما كانت هذه البيانات في البحث الوصفي قابلة للتحريف نتيجة للتحيز المحتمل فى جمع البيانات وفى انتقاء الجمهور أو العينة ، كان من الضروري العمل على تجنب أثر هذا التحريف والتحيز في كل خطوة ، كما يشير هذا التحديد أيضاً للبحث الوصفي من ناحية أخري إلى تميزه بعدة خصائص وخطوات ، إذ تدور البحوث الوصفية حول مواقف راهنة أو

ظواهر الحاضر ، والنظر فيما وراءها ، بمعني الاستعانة بإجراءات منهجية متباينة ، من طرق وأدوات ، وعينات ، وتحليلات ، وتنسيق وترتيب لتوفير بيانات دقيقة حول هذه المواقف ، ثم استخلاص المعني والمغزى الذى تنطوي عليه هذه البيانات . الأمر الذى سنزيده إيضاحاً فيما بعد .

ثانياً : أهدف البحوث الوصفية ومستلزماتها :

يعنى قدر هائل من البحوث الاجتماعية بوصف المجتمعات المحلية ، حيث قد يهتم بعضها بدراسة سكان المجتمع المحلي ، وتكوينهم العمري وتركيبهم القومي أو السلالي وظروف الصحة الجسمية أو العقلية بينهم ، ومستويات التعليم التي حقوها .

وقد يهتم البعض الثاني بدراسة التسهيلات المتاحة في المجتمع المحلي واستخدامها مثل ظروف الإسكان ، ومدي الإفادة من المكتبات ، وحجم الجريمة في الأحياء المتباينة . وقد يعنى فريق ثالث بوصف التنظيم الاجتماعي في المجتمع المحلي أو الأنماط الأساسية للسلوك ، ويعتبر تعداد السكان نموذجاً على هذه الاهتمامات .

وقد يعنى فريق رابع بتقدير نبة السكان في مجتمع معين والذيم يتمسكون برأي معين أو باتجاهات محددة ، أو الذين لهم طريقة مميزة في السلوك . ويحاول أخرون الإجابة على أسئلة مثل :

كم عدد الذين يوافقون على الإجهاض كطريقة في ضبط النسل ؟ في أي الأحياء يتطلب التغير في السكان بناء مدارس جديدة أو إغلاق أخري موجودة في المستقبل القريب ؟ وتعد استطلاعات الرأي نموذجاً على هذا الاهتمام .

كما قد يعنى فريق خامس بالكشف عما إذا كان هناك ارتباط بين متغيرات معينة مثل هل تزيد نسبة الكاثوليك الذين يصوتون إلى جانب الديمقراطية عن نسبة البروتستانت ؟ هل السكان الذين يمضون جانياً كبيراً من وقتهم في القراءة يترددون أيضاً على دور السينما ؟ هل الإناث عموماً يتعلمون كيفية الكلام في عمر مبكر من الذكور ؟

علماً بأن الأسئلة المشار إليها سلفاً لا ينطوي واحداً منها على فرض مضمونه : إن أحد هذه المتغيرات يؤدي إلى حدوث الآخر ، ذلك لأن التساؤلات التي تجسد مثل هذه الفروض تقتضي منا استخدام متطلبات مغايرة في إجراءات البحث لا يعتمد عليها البحث الوصفي

وقد ينظر إلى قياس الرأي العام باعتباره نموذج آخر على الحث الوصفي . واضح إذن أن أهداف البحوث الوصفية تتنوع وتتعد بين دراسة خصائص السكان في المجتمع أو الامكانيات المتاحة ، أو المشكلات الاجتماعية ، أو عناصر التنظيم الاجتماعي ، أو الاتجاهات نحو قضايا وأوضاع هامة داخلية .... إلخ.

وإذا كانت هذه الاهتمامات السابقة تمثل مجموعة كبيرة من أهداف البحث ، أمكن تجميعها معاً في فئة واحدة تعرف باسم البحوث الوصفية . فإن يرجع إلى أن البحوث التي تهدف تحقيق هذه الأهداف تشترك فيما بينها في حاجتها إلى عدد من المتطلبات أو المستلزمات ، ذلك لأن هذه الأنواع من التساؤلات والمشكلات التي يطرحها البحث الوصفي تفترض سلفاً توفر قدر كبير من المعرفة متاحاً حول المشكلة التي يدور حولها البحث ، وذلك بمقارنتها بالتساؤلات التي تحاول الدراسات الاستطلاعية الإجابة عليها ، وتفرض على الباحث ضرورة أن يكون قادراً على تحديد ما يريد وصفه بوضوح ، وكذلك ضرورة التوصل إلى المناهج المناسبة لهذا الوصف . هذا بالإضافة إلى أنه ينبغي أن يكون البحث قادراً على تعيين من الذين يشملهم مجتمع البحث أو عينته ، لذلك فإن ما يحتاج إليه جمع الشواهد في الدراسة الوصفية هو الصياغة الواضحة لما نريد وصفه والذين نصفهم ، وتحديد أي الأساليب تحقق الصدق والثبات في الوصف ، أكثر مما نحتاج إلى المرونة في البحث .

وكذلك لا تقتصر البحوث الوصفية على الاستعانة بأسلوب واحد في جمع البيانات ، وإنما قد تستخدم بعض هذه الأساليب أو كل المتاح منها في البحث الاجتماعي . ولكن ليس معني أن البحوث الوصفية قد تستخدم مجموعة كبيرة من الأساليب ، أنها تمتاز بخاصية المرونة التي تمتاز بها البحوث الاستطلاعية . وإنما يستلزم الأمر أن تكون الإجراءات المستخدمة

في البحث الوصفي مخططة بعناية . وطالما كان الهدف هو التوصل إلى معلومات كافية ودقيقة ، ينبغي أن يتوخى تصميم البحث البعد عن التحيز بالمقارنة بالبحوث الاستطلاعية ، وكذلك الاهتمام بالاقتصاد في جهود البحث .

ثالثاً : الإجراءات المنهجية فى تصميم البحوث الوصفية :

وتدخل هذه الاعتبارات المتعلقة بالاقتصاد وتجنب التحيز في كل مرحلة من مراحل البحث ابتداء من صياغة أهداف البحث ، وتصميم أساليب جمع البيانات ، وانتقاء العينة ، وجمع البيانات وتحليلها ومعالجتها ، وكتابة تقرير النتائج . نحاول فيما يلى الاستعانة بمثال دراسة خبرات واتجاهات سكان الولايات المتحدة الأوروبيون الذين يزورون الهند . لتوضيح هذه الإجراءات :

١- صياغة أهداف البحث :

تتمثل الخطوة الأولى في البحث الوصفي كما هو الحال في أي بحث آخر في تحديد المشكلة أو السؤال الذى نريد الإجابة عليه أو صياغة أهدافه . إذ يتوقف توصل الدراسة إلى المعلومات المرغوب فيها ، على تحديد الأهداف بالدقة الكافية ، وحتى يمكن أن نضمن مناسبة البيانات التي تم جمعها للسؤال الذى تطرحه الدراسة .

حيث كانت المشكلة العامة في البحث الذى أشرنا إليه كمثال هنا متمثلة في الإجابة على تساؤلات مثل : ما هي التغييرات التي طرأت على هؤلاء الزوار كلما مر عليهم وقت خارج بلادهم ؟ خاصة وأن الكثير من جهود البحث الاجتماعي تعفي بالتغيرات في الاتجاهات بين جماعتين أو أكثر ممن يشتركون في نفس القومية أو يعيشون في نفس المدينة . كما تسعي هذه الدراسات إلى فهم التغيرات في الاتجاهات العنصرية Racial نتيجة للتغيرات في سياسات التعليم أو الإسكان ، وكذلك تهتم بالإجابة على أسئلة مثل ، هل تحدث نفس أنواع التغيرات والعلميات الاجتماعية بين الأشخاص الذين يعبرون الحدود الدولية ؟ وهل يصبحون أكثر أو أقل تسامحاً وقبولاً للأشخاص الذين يفيدون إلى بلادهم من بلاد أخرى ؟ وقد تدفع المجموعة المتباينة من نتائج الدراسات السابقة حول نفس الموضوع بالباحث إلى أن يتسأل ؛ ما الذى يحدث من عمليات في مثل هذه الظروف التي تحتاج إلى بحث من النوع الوصفي.

ومن هنا ؛ كان الهدف الرئيسي للدراسة المشار إليها هنا متماثلا في محاولة تتبع عمليات التكيف بين الزوار الأجانب في الهند من خلال الملاحظة والمقابلة الشخصية للأشخاص الذين عاشوا هناك لفترات متباينة لكى نوضح كيف تغيرت نظراتهم لأنفسهم وللهنود .

٢- تصميم أدوات جمع البيانات :

وينبغي بعد تحديد المشكلة بوضوح يوجهنا نحو البيانات التي تحتاج إليها الدراسة لابتكار الأساليب التي يمكن بها التوصل إلى هذه البيانات ويلزم الأمر تصميم الأساليب الملازمة لجمع المعلومات ، طالما كان من الصعب على الباحث أن يجد أمامه أساليب معدة سلفا ومناسبة لموضوع بحثه .

والواقع أن كل أسلوب من الأساليب التي يمكن أن توصلنا إلى البيانات مثل الملاحظة ، والمقابلة ، والاستبيان ، والأساليب الإسقاطية ، فحص السجلات وغيرها له مميزاته وحدوده التي قد تناولتها مؤلفات مناهج البحث الاجتماعي وطرقه بالتفصيل ؛ والتي توضح أن هناك مجموعة هائلة من أساليب البحث يمكن أن يختار من بينها الباحث ، ولكنه قد يسير في رحلته الشاقة هذه دون أن يعرف من أين يبدأ ، هل يختار الملاحظة للمشاركة أو المقابلة ، أم غيرها ، غير أنه إذا عرف أن خصوصية الموقف المدروس وطبيعة التساؤلات التي يطرحها البحث والمهارات المتوافرة لدى الباحث يمكن أن تتدخل في اختيار هذه الوسيلة .

فعندما يستخدم الباحث الاستبيان مثلا كوسيلة في لجمع بياناته وفي البحث الوصفي عليه أن يعرف أنه نتيجة الطبيعية الغير شخصية التي تميز الاستبيان لان الباحث لا يعرف أو يري المبحوث الذى يجيب على أسئلة استبيانه ، عليه أن يراعى في جمع البيانات استخدام هذه الوسيلة الاعتبارات التالية :

١. **وضوح اللغة التي تكتب بها أسئلة الاستبيان وتوصل الباحث إلى ما يريد أن يعرفه بدقة :**

ذلك لأن عملية الاتصال تنطوي على شيء من الخداع ، وأن ما يكون واضحاً لك قد يغمض على غيرك ، وما يبدو أنه سؤال واضح بالنسبة لك ، قد يفهمه غيرك بصعوبة بالغة . ولذلك ، ينبغي أن يجري اختبار مبدئي على عينة صغيرة للتحقيق مما إذا كان هناك بنود في الاستبيان يصعب فهما أو هناك أسئلة لا يعرف المبحوث الإجابة عليها ..... إلخ .

٢. **تصميم الاستبيان بحيث يحقق أهداف البحث المحددة .**

إذ ينبغي بناء الاستبيان بندا بعد الأخر واختيار نوعيته في ضوع الموضوعية والملائمة للمشكلة البحث واحتمال فهمه ، وتراعى في كل خطوة الاستئذان Cour-teous في طلب الاجابة ، والبساطة في صيغة الأسئلة واحتمالات الاجابة وأن يضع الباحث نفسه مكان المبحوث والتركيز على المسائل العامة دون الخاصة ، والحرص على أن يكون الاستخبار مختصرا ويضم فقط بنود أساسية ، ثم الاتساق وعدم التناقض بين البنود وفي الاجابة عليها ووضع أسئلة للمراجعة على الاجابات والاتساق فيما بينها ... إلخ ، من التفاصيل التي سنعود إليها عند الحديث عن تصميم الاستبيان كأدلة لجمع البيانات للبحث الاجتماعي .

ولكن طالما كان بالإمكان الإفادة من البيانات التي نتوصل إليها من خلال وسائل مختلفة في الإجابة على تساؤلات البحث أن يستغنى عن أساليب معينة لا يحقق هذا الهدف ، ويختار تلك التي تساعد على تحقيق ، مع الأخذ في الاعتبار قيود الاقتصاد في الوقت والجهد التي تميز البحث الوصفي . وفي اللحظة التي يستقر فيها الباحث على اختيار وسيلة معينة تبقى هناك بعض القرارات الأخرى التي يجب اتخاذها عن التفكير في تصميم البحث ، يتعلق بعضها بطريقة تطبيق وسيلة جمع البيانات هل هي طريقة مباشرة تستخدم المقابلة أو غير مباشرة عن طريق الاستخبار البريدي ؟ وهل الأسئلة التي ينطوي عليها هذا الاستخبار مقفولة النهاية وتحدد احتمالات الاجابة على كل سؤال بها أم تكون مفتوحة النهاية ؟ علما بأنه يفضل في البحث الوصفي الإفادة من أكبر مجموعة ممكنة من مثل هذه الاحتمالات لزيادة فرصة التعرف على ابعاد الموقف المدروس ومكوناته الأساسية .

وهذا ما حولته دراسة الزوار الأجانب إلى الهند من الملاحظة بالمشاركة ، والمقابلات الحرية ، والأسئلة المقننة ، ومقاييس الاتجاهات ، وذلك استناداً إلى أنه إذا كانت الملاحظة بالمشاركة تنطوي على بعض أخطاء في التفسير ، فإن المقابلات المقننة ومقاييس الاتجاهات ستقلل من احتمالات التحيز الشخصي هذه ، وكذلك تسمح لنا هذه المجموعة من اساليب جمع البيانات لتوصل إلى قد هائل من المعلومات ، ولهذا كان من المرغوب فيه الاعتماد على أكثر من وسيلة واحدة في جمع البيانات حتى نتمكن من تقديم وصف أكثر اكتمالاً للموقف الذى نقوم بدراسته .

والمشتغل بعلم الاجتماع في محاولته السير صوب كل هذا، لابد له من مادة تاريخية تغطي مساحتها مطلبه العلمي من الشواهد والأدلة. ومن هنا، يمكن فهم لماذا كان كل تقدم في الدراسات التاريخية بمعناها الشامل الذي يضم التاريخ والبحث التاريخي، هو ركيزة تساعد علي تقدم علم الاجتماع وبلورة آرائه وأدواره العلمية والمجتمعية. ومن ناحية أخري ، يعد كل تقدم في منهجية علم الاجتماع، بمعني المفاهيم والقضايا النظرية والإجراءات البحثية، بمثابة ركيزة تساعد علي تقدم البحث التاريخي.

إن الباحث التاريخي الذى يهتم بتحليل الوقائع والحوادث وتحليلها وتركيبها وقراءتها وجعلها تنطق وتكشف عن معناها، بحاجة إلي ما يساعده علي انتقاء الوقائع والحوادث والشواهد التاريخية، وتصنيفها وترتيبها وتحديد ما بينهم من علاقات وتشابكات. هذا الباحث يمكن أن يجد في علم الاجتماع ما يعنيه علي تطوير هذه العمليات البحثية وشحذها، هذا فضلا عن أن المعلومات والبيانات والنتائج الدقيقة التي يصل إليها المشتغل بعلم الاجتماع اليوم قد تكون من بين مادة الباحث التاريخي غدا أو بعد غد.

وهكذا قد نجد النقائص في المعالجة العلمية للظواهر الاجتماعية ، التي لوحظت علي البحوث الكميه في علم الاجتماع، وميلها إلي التصنع العلمي ، وتجزئة الحقيقة الاجتماعية، وبعدها عن التلقائية ، تعويضا عن الكثير من هذه النقائض. كما أن اهتمام البحث التاريخي بدراسة تطور المجتمع البشري والتعرف علي عوامل وعمليات وقوانين هذا التطور ، بهدف

توظيف نتائج هذا البحث في صنع مستقبل أفضل لهم، يعبر عن قدراتهم وآمالهم، مما يؤكد أهمية الحاجة إليه كأساس لا غنى عنه في صياغة استراتيجيات التنمية في المستقبل.

٣. **اختيار جمهور البحث وتصميم عينته :**

تعد عملية اختيار جمهور الدراسة احد العناصر الجوهرية في البناء الأساسي لبحوث المسح الوصفي ، وإذا كانت العناية والدقة مطلوبتان في عملية التخطيط للبحث وتصميمه من أجل التوصل إلى الهدف المحدد فإنهما لازمتان ايضاً في اختيار جمهور البحث وتمثيل عينته ، ومن هنا كانت اجراءات اختيار العينة لها أهمية قصوى وحاسمة في نجاح البحث الوصفي ... وتعتبر العينة بمثابة وسيلة لها أساسها المنطقية ومبرراتها الإحصائية ابتكرت للتغلب على صعوبة دراسة جمهور البحث كله . ولقد أوضحت الخبرة بالبحث الاجتماعي بأنه ليس هناك ضرورة لدراسة كل الأشخاص المكونين لجمهور البحث ، حتى يمكن التوصل إلى وصف دقيق وثابت لاتجاهات أو سلوك هؤلاء الأشخاص ، وإنما يكفي دراسة عينة منهم فقط .

وهناك جهود كثيرة متوافرة حول مشكلة تصميم العينات أوضحت أنه يمكن التوصل إلى معلومات دقيقة مع أقل قدر من الجهد من البحث إذا اقتصارنا على عينة ممثلة . وهنا من المفيد أن نوضح كيف أن تقدير مثل هذه الاعتبارات الاحصائية قد يساعد في تحقيق قدر كبير من الاقتصاد في البحث حيث قام رونتري في دراسته الكلاسيكية للفقر في انجلترا لبحث كل أسر الطبقة العمالية . ولكى يتحقق من دقة أسلوب العينة الذى اعتمد عليه في البحث اختار طبقا لإجراء منسق أو منظم كل الحالات العشرية وقارن نتائجها بالنتائج التي توصل إليها من دراسته لكل الحالات . ثم اختار حالات العشرينيات ، والثلاثينات ، والأربعينيات ، والخمسينات ، وقارن بين النتائج في كل حالة ونتائج دراسته للحالات كلها وخاصة فيما يتعلق في ينفق من الدخل على ايجار مسكن الأسرة . واتضح له في النهاية ان العينات المختلفة بغض النظر عن حجمها تمدنا بنتائج قريبة من تلك النتائج التي تم التوصل إليها .

أو بعبارة أخري ، تم التوصل إلى نفس النتائج من خلال دراسة عينة واحدة من أسر الطبقة العمالية في المدينة ، وهذا يعنى استثمار في الوقت والجهد بدون أن تتأثر النتائج التي يمكن التوصل إليها .

وإذا كان البعض يذهب إلى أنه قد تكون هناك فروق ذات دلالة بين النتائج التي يتم التوصل اليها من دراسة العينة ، وبين نتائج دراسة مجتمع البحث ككل ، إلا ان دلالة هذه الفروق تتوقف على عدة اعتبارات منها ما هو إحصائي وما هو عملي بحيث تتوقف الفروق ذات الدلالة الإحصائية في الحالتين على مدى تمثيل العينة للمجتمع الأصلي ، تتوقف الفروق ذات الدلالة من الناحية العملية على ما تؤدى به إلى تغيرات رئيسية في التفسير أو التوصيات التي يمكن أن تخرج بها الدراسة في مجال التطبيق إذا كانت تهدف إلى ذلك . ولذلك ينبغي أن تختار العينة بعناية يتمكن بواسطتها الباحث من أن يصل إلى النتائج عن عينة البحث كله قريبة من النتائج التي يمكن التوصل إليها من دراسته ، أو بجمع بيانات من هذا الجمهور كله .

وهذا معناه أنه ، أنه إذا كان من الأهمية بمكان أن تعتمد الدراسة على عينة فينبغي أن تكون العينة على مستوى من التمثيل الدقيق للمجتمع الأصلي الذى تؤخذ منه ، بمعنى أنه لابد أن تسحب العينة بطريقة تجعل النتائج التي تستخلص منها أكثر تطابقاً مع تلك النتائج التي كان بالإمكان التوصل إليها من دراستها للمجتمع الأصلي للبحث . وهذا يتطلب قدراً من الاهتمام والعناية ، عند تصميم البحث بمشكلات وأساليب تكوين سحب العينات لأنه يعنينا في اتخاذ كافة القرارات التي تحتاج إليها تصميم عينة البحث الوصفي والاجابة على أسئلة مثل ، ما الذى يمكن عمله في حالة كبر أو صغر حجم المجتمع الأصلي للبحث ؟ أو ما إذا كان هذا المجتمع حبيس جدران معينة مثل المسجونين أو ما إذا كان هؤلاء الأفراد من المرض أو الاتصال بهم أو من العجزة أو من الرافضين للتعاون ومدنا بالمعلومات ؟

وتتكون العينة من وحدات أو مفردات تأخذ من جمهور البحث .

والواقع ان هدف البحث هو الذى يحدد وحدة العينة المناسبة ، فمثلاً في دراسة عملية الانتخاب ، نجد أن وحدات العينة المناسبة هم أصحاب الأصوات القانونية ، وفي دراسة لميزانية الأسرة ، تعد الأسرة هي وحدة العينة ، وفي دراسة لسلوك الأطفال ، تعد الفترات الزمنية لوحدة للدراسة ، ومهما كانت وحدة العينة فمن المهم أن يتوافر لدينا أساس يمكن به

التعرف على إجمالي سكان المجتمع الأصلي التي تتكون منه هذه الوحدات ، وكذلك طريقة محددة لاختيار أو سحب الوحدات من هذا المجتمع . ولذلك ، كانت الطريقة التي يتم بها انتقاء وحدات العينة لها أهميتها ، فقد تكون الطريقة العشوائية Randomization ولهذا تصبح العينة عشوائية ، أو قد تكون طريقة من الطرق المختلفة الأخرى في تكوين العينات ، مثل الطريقة العشوائية المنتظمة ، أو الطريقة الطبقية ، أو المساحية ، أو المكانية ، أو المعتمدة ، أو ما إليها .

وفي كل حالة تسحب مفردات العينة لتكون في النهاية حجماً معيناً للعينة ليدل على الدرجة التي تقترب بها خصائص العينة من خصائص جمهور البحث ككل مثل التجانس واللاتجانس فإذا كان جمهور البحث يتميز بعدم التجانس ، فهنا ينبغي على الباحث أن يأخذ في اعتباره عوامل ثلاثة في اتخاذ أي قرار يتعلق بحجم العينة :

١- رجة الدقة اللازمة في اقتراب العينة من جمهور البحث.
٢- درجة انحراف العينة المسموح بها عن المجتمع الأصلي .
٣- الطريقة المستخدمة في تكوين العينة .

وعموما يحتاج تصميم العينة في البحث الوصفي أن يسير الباحث في خطوات محددة ، حيث تتمثل الخطوة الاولى عند اختيار وتصميم العينة في التحليل الواعي لخصائص جمهور الباحث حتى يمكن في ضوئها التوصل إلى أسلوب لتكوين العينة يتناسب مع نموذج هذا الجمهور ، ذلك أن جمهور البحث قد يمتاز :

١- أن يحتوى على شرائح متجانسة .
٢- أن يحتوى على شرائح محددة تنطوي على وحدات متباينة .
٣- أن يحتوي على شرائح محددة ، وتختلف كل شريحة عن الأخرى بما تنطوي عليه من وحدات .
٤- أو قد يشتمل على تجمعات ، لكل تجمع خصائص مماثلة ولكن خصائص وحدات كل تجمع غير متجانسة .

ولوحظ أن كل جمهور بحث يناسبه أسلوب معينة لسحب العينة منه . إذ يفيد أسلوب العينة العشوائية مع النوع الأول من الجمهور ، ويفيد أسلوب العينة الطبقة مع النوع الثاني ، ويفيد أسلوب العينة الطبقية الحصية في النوع الثالث ، وتفيد أسلوب العينة العنقودية مع النوع الرابع .

٤. <u>جمع البيانات فى البحث الوصفى :</u>

من الضروري التوصل إلى بيانات خالية من الأخطاء قد تكون ناشئة عن المقابلات الفردية أو الملاحظات أو غيرها ، وان نهتم بالإشراق المباشر على باحثي الميدان وهم يقومون بجمع وتسجيل البيانات . وينبغي أن تجري مراجعة لهذه البيانات للتأكيد من هؤلاء الباحثين كانوا أمناء ، وأن البيانات التي قاموا بجمعها غير متحيزة ، بمعنى أنه عند جمع البيانات ينبغي التأكد من اكتمالها وشمولها ، واتساقها ، وثباتيها .

ولتحقيق ثبات البيانات مثلا ، يمكن الاعتماد على أكثر من باحث في جمع البيانات ، أو حتى جمع هذه البيانات على مراحل متباينة والمقارنة . ومن الامثلة البارزة على التحقق في الثبات في البحوث الوصفية ما حاوله (ساندرز) في دراسة لمدمني الهيروين من وضع أسئلة تعين في التمييز . مثالها ، السؤال الذى طرحه على المفحوصين عن سبق شرائهم لهذا المخدر ،

بحيث أنه إذا كانت نسبة كبيرة من الذين سبق معرفتهم به يجيبون بثبات على أكثر هذه الأسئلة تميزا وهو المتعلق بالمعدل الذى يمكن باعتباره معقولا ، فإن هذا دليلا كافيا على اعتبار اجابتهم على بقية اجابة ثابتة ويمكن الثقة بها . كما استعان (ساندرز) بإجراءات آخري عديدة تفيد في زيادة معدل الثبات في بياناته ، منها الاستعانة بالباحثين على خبرة ودراية في الموضوع المدروس ، وتنظيم دورت تدريبة للباحثين تناقش معهم أهداف البحث وطبيعة الاستبيان ، وأساليب الملاحظة مما أعان الباحثين على فهم حياة ولغة المدمنين ، وانعكس ذلك فيما بعد على كسب ثقة المفحوصين واحترامهم وتعاونهم في الاجابة على الأسئلة .

٥. **تحليل البيانات وتفسير النتائج في البحث الوصفي :**

تتكون عملية التحليل من خطوات ترميز إجابات المقابلة الشخصية أو الملاحظة (وضع كل بند في الفئة المناسبة) ، ثم جدولة البيانات (حساب أو عد أو إحصاء عدد البنود في كل فئة) ، ثم إجراء المعالجات الإحصائية وسوف نناقش هذه الإجراءات بالتفصيل فيما بعد (المحاضرة الخاصة بتحليل البيانات وتفسير النتائج) ، ولكن يجب أن نذكر هنا ضرورة مراعاة اعتبارات الاقتصاد والحاجة إلى تجنب الوقوع في الخطأ في كل خطوة من هذه الخطوات . وتتطلب اعتبارات الاقتصاد عموماً أن يكون التحليل مخططاً له بالتفصيل قبل إجراء البحث فعلاً ، أو قبل البدء فيه . وبهذه الطريقة يمكن للباحث أن يتجنب القيام بأعمال غير ضرورية ؛ كأن يستخرج جداول يجد فيما بعد أنه لن يستفيد منها أو قد يضطر إلى عمل جداول أخري لأنه لم يوفق في الوصول إلى البيانات المناسبة أو وثيقة الصلة بموضوعه . على أنه يجب أن نأخذ في اعتبارنا أن التخطيط المتكامل لعملية تحليل البيانات مقدماً ليس دائماً عملية ممكنة أو حتي مرغوباً فيها .

طالما تطرأ للباحث أفكار جديدة يحتاج إلى فحص دلالتها لبحثه . ولكنه من الممكن دائماً ، ومن المرغوب فيه أ نعد مقدماً المعالم الأساسية للتحليل في البحث باستثناء البحوث الاستطلاعية .

ويمكن تجنب الوقوع في الخطأ عند الترميز من خلال مراجعة أو التحقق من ثبات القائمين بالترميز – بمعنى تحديد المدي الذي يتفقون فيه على وضع البند في فئة معينة – وإذا كان الترميز يتطلب أحكاماً صعبة ، علينا أن نستعين بإجراء مناسب هنا يتمثل في ترك اثنين أو أكثر من المرمزين يقومون بعملهم على نحو مستقل على عينة من المادة حتى يتوصلوا إلى درجة مرضية من الثبات . أو قد يقوم أحد المرمزين بالعمل ، ثم يقوم مرمز آخر بعملية المراجعة تحرياً للدقة في هذا الصدد .

وإذا كانت عملية جدولة البيانات ستتم بالطريقة الآلية ، واستخدام برامج الحاسب الآلي وفقاً لبرنامج المعالجة الإحصائية المختار ، فينصح هنا بالمراجعة لتحري الدقة في إدخال البيانات . كما ينصح بتحري الدقة في استخراج الجداول من خلال إعادة العمل ، والمقارنة بين النتائج في المرتين .

كما يلزم أيضاً إجراء معالجات إحصائية في الدراسة الوصفية ، واستخراج النسب المئوية والمتوسطات والارتباطات ، وينصح أيضاً بتحري الدقة في هذه المعالجات ، كما ينبغي اتباع الإجراءات الإحصائية التي تجنبنا استخلاص نتائج متحيزة من تللك البيانات ، وذلك مثل تحليل التباين بين المجموعات أو حساب اختبارات الدلالة الإحصائية وهكذا.

غير أن البيانات والنتائج في ذاتها ليس لها أية قيمة ، وهذا معناه أن عملية جمع البيانات والتوصل إلى نتائج لا تمثل نهاية عملية البحث ، وإنما يهدف البحث إلى التوصل إلى إجابة السؤال الذى يطرحه في ضوء الحقائق والبيانات التي تم جمعها ؛ ولذلك كان استخلاص معني من هذه البيانات التي تم جمعها . إن تفسير النتائج يشكل خطوة هامة في البحث . ولكن كيف يتم تفسير النتائج ؟ وهذا السؤال يجب أن نجد إجابة له عند تصميم البحث أو عند إعداد خطته ، إن تفسير النتائج ليس معناه مجرد وضعها في جداول أو رسوم بيانية أو إعادة ترتيبها وعرضها في صورة أخري ؛ لأنها تظل على هذا النحو مادة خام . ولكن عندما يحاول الباحث توضيح ما الذي تشير إليه هذه النتائج وذلك في ضوء المشكلات الفرعية للبحث ، والمشكلة الكبرى له ، أو عندما يعمل على تكامل النتائج في قضية تدعمها الحقائق ، فإنه يهدف بذلك إلى تفسير هذه النتائج .

٦. **التحيز في تصميم البحث الوصفي :**

في توضيحنا للخصائص الأساسية للمسح الوصفي ، أشرنا إلى ضرورة أن يكون الباحث حساساً لمصادر التحيز في هذا النوع من البحث ذلك لأن البيانات في هذا البحث قابلة للتحريف ، ولهذا من الواجب أن نجنب البيانات من التأثر بهذا التحيز .

وبرغم أن كل بحث عرضة للتحيز ، إلا أن البحث الوصفي أكثر تعرضاً للتحيز الذى يمثل أي أثر أو ظرف أو مجموعة ظروف تحدث التحريف في البيانات ، أو حتى تؤثر في التوزيع العشوائي لعينة البحث .

ولكى نفهم بدقة كيف أن التحيز يؤثر في البيانات ، دعنا نأخذ بعض الأمثلة وندرسها بعناية ، فقد قرر أحد الباحثين الاعتماد على دليل التليفون في المدينة كمصدر لاختيار عينته العشوائية ، وهذه العينة واضح أنها متحيزة ، لأنها لا تمثل جمهور البحث ككل ، لأن الشريحة الاقتصادية الدنيا لا تدخل في العينة لعجزها عن اقتناء التليفون . كما سوف تستبعد فئات أخري تفضل ألا تضع أسمائها ضمن هذا الدليل .

وقد يستخدم الباحث أداة لجمع البيانات مثل الاستخبار دون أن يدري أنها معرضة للتحيز ؛ ذلك لأن نسبة العائد من الاستبيان حتى ولو بلغت ٥٠% فإنها لا تمثل كل عينة البحث المدروسة ؛ ولذلك فإن محاولة صياغة تعميمات على هذا الأساس وتطبيقها على المجتمع ككل سوف يؤدي إلى التحيز والتضليل .

وكذلك قد ينشأ التحيز من مصادر أخري في البحث ، فقد تؤثر شخصية الباحث فى استجابات المبحوث عند مقابلته شخصياً .. والواقع أن الاعتراف باحتمال التحيز والتعرف على مصادره هو الطريق الوحيد لتجنبه .

رابعاً : نماذج على تنفيذ البحوث الوصفية :

بالنظر إلى الفقرات السابقة يمكن التعرف على الأهداف المتباينة التي تدخل ضمن أي بحث وصفي ، وعلى الأساليب المنهجية التي يلتزم بها غالباً في الوصول إلى مثل هذه الأهداف ، وابتداء من طريقة البحث ، ثم الاداة ، ثم العينة ، وأخيراً جمع البيانات وتحليلها ... إلخ . الامر الذى يفهم منه أن الباحث يختار واحداً من الأهداف المذكورة سلفاً ويحاول أن يجري عليها بحثاً وصفياً فإنه يجد نفسه ملزماً باتباع الأساليب المنهجية الخاصة بالبحث الوصفي وإلى أخذها في اعتباره وهو يفكر في وضع تصميم منهجي مناسب لتحقيق هذا الهدف ، وهذا ما حاولته الهيئة التي أشرفت على بحث البغاء في القاهرة عندما حددت هدفها في وصف ظاهرة البغاء التي تنتشر بشكل ظاهر في المدن الكبرى وخاصة القاهرة .

أما الهيئة المشرفة على بحث النشل عند الأحداث فقد حددت هدفها في وصف ظاهرة النشل بين الأحداث المنحرفين ، ولذلك كانت مجموعة الاجراءات المنهجية التي اعتمدت عليها في الوصول إلى هذا الهدف هي الإجراءات المتبعة في البحث الوصفي ، بحيث اعتمدت علي طريقة المسح الاجتماعي للحالات التي أدانتها محكمة أحداث القاهرة والتي بلغت ٣٧ حدثاً وقامت بتصميم مقابلة مقننة لجمع البيانات من الأحداث ضمت بنودها : الوقائع الجنائية للظاهرة ، والجماعات التي ينتمى إليها الأحداث ، وطبيعة العلاقات بينهما والأسرة والجوار ... إلخ . ثم جمعت البيانات بواسطة باحثين مدربين ، ثم تمت الاستعانة بالأسلوب الاحصائي في تحليل البيانات ؛ بحيث ساعد الالتزام بهذه الاجراءات على إلقاء الضوء على ظاهرة النشل عند الاحداث وتحديد جوانبها المختلفة .

أسئلة المحاضرة

س١/تحدثي / تحدث بالتفصيل عن تحليل البيانات وتفسير النتائج كأحد الإجراءات المنهجية في .تصميم البحث الوصفي